إقصاء الشّاهد الشّعري لتعدّد الرّوايّة (الارتشاف أنموذجا)

The exclusion of the poetic witness to the multiplicity of the novel (EL'IIRTISHAF as a model)

أ. منصوري عبد الجليل§

أ. بديار البشير**

تاريخ الاستلام: 2020.06.21 تاريخ القبــول: 2021.07.18

ملخّص: نسعى من خلال هذه الورقة البحثيّة إلى تسليط الضّوء على جانب مهم من درسنا النّحوي العربي، وربّما يعد أهم ركن فيه، والمقصود هنا هو حجيّة الشّاهد الشّعري في النّحو؛ إذ إنّ العلل القادحة فيه كثيرة، ولعلّ أوفرها حظا، وأكثرها دورا بين القادحين تعدّد روايّة الشّاهد، السّبب الذي من شأنه إضعاف حجيّة الشّاهد، أو الذّهاب به جملة وبالرّأي الذي يستند عليه.

وقد حاولنا في هذا البحث إثارة هذا الإشكال، ومعالجته في إطار مدونة هي أهم ما أسهم به المغاربة النّحاة في الدّرس النّحوي العربي، وصاحبها أحد رجالات المغرب ذكاءً وفطنة وسبقا في ميدان اللسان العربي، بل إنّه يُعد من السّبّاقين في الدّرس اللساني عامّة، ونقصد أبا حيّان الأندلسي، وكتابه الارتشاف الذي جعل فيه، عصارة دراساته وزبدة ما وصل إليه من آراء وأفكار.

§جامعة عمار ثليجي، الأغواط، البريد الإلكتروني: khalifam09@hotmail.com (المؤلّف المرسل).

**جامعة عمار ثليجي، الأغواط، البريد الإلكتروني: hmoudati62@yahoo.fr

كلمات مفتاحيّة: الشّاهد الشّعري؛ تعدّد الرّوايّة؛ إقصاء؛ الارتشاف؛ أبو حيّان.

Abstract: This novel seeks to shed light on an important aspect of our Arabic grammar lesson, and it is perhaps the most important corner in it, and what is meant here is the authoritative poetic witness in grammar, as the ugly reasons are many, and perhaps the most fortunate, and the most important role among the guides is the multiplicity of the witness, the reason that Would weaken the authenticity of the witness, or take it as a whole and the opinion on which it is based.

We have tried in this research to raise this problem, and address it within the framework of a blog that is the most important contribution of the Moroccan grammarians in the Arab grammar lesson, and accompanied by one of the men of Morocco intelligent and acumen and a race in the field of the Arabic tongue, but he is considered one of the race in the linguistic lesson in general, and we mean Abu Hayyan Andalusian, and his book resorption which made it, the juices of his studies, and the butter of what he reached of opinions and ideas.

Keywords: Poetic witness ; Multiple novel ; Exclusion ; Al'iirtshaf ; Abu Hayyan .

1. المقدّمة: لم تكن عنايّة أسلافنا بالدّرس النّحوي نابعة من فراغ، بل حث إليها إحساس عميق بالمسؤوليّة تجاه دينهم، ذلك الإحساس الذي جعلهم يبدعون علوم اللغة عامة، وعلم النّحو خاصّة؛ فيكون هذا الأخير مأرز اللسان العربي ثم جعلوا مادة هذا العلم محصورة بين القرآن، وكلام العرب، وعلى الرّغم من قداسة القرآن الكريم إلّا أنّ الشّعر العربي كان المهيمن على شواهد النّحاة، وصاحب الظّهور في كتبهم ومدوناتهم.

ولم يكن اعتماد النّحاة على الشّاهد الشّعري اعتباطًا، بل كان قصدًا؛ إذ إنّ كتبهم تسعى إلى وصف الظّاهرة اللغويّة قبل نزول الوحي، وأثناءه، وبعده بفترة وجيزة، فكان لزاما على شواهدهم أن تركز على الشّعر العربي هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الوحي يُحتج به لا له، وأمّا الشّعر العربي فيُحتج به وله، هذان السّببان وأسباب أخرى جعلت الشّاهد الشّعري غالبا في كتب النّحو.

2. الشّاهد النّحوي: الشّاهد لغة من "شَهِدَ فلان على فلان بحق فهو شاهد"[1] وهو من المشاهدة كذلك وأصلها الإخبار بما شاهد[2] دون تغيير في أصل الخبر.

واصطلاحا هو مصطلح متضمن شقين، الشّاهد أو الدّليل كما عرفه الباجي[3]: هو "الدّلالة على البرهان وهو الحجّة والسّلطان[4]" أو هو "الذي يُتوصل به إلى العلوم التّصديقيّة المطلوبة بالنّظر[5]".

أمّا الشّاهد النّحوي فهو ما يُستدل به على صحّة القاعدة النّحويّة من كلام الله عزّ وجلّ وكلام نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم أو فصيح كلام العرب الْمُحتج بكلامهم وعليه فالشّاهد النّحوي في مدونات النّحاة ثلاثة أقسام:

أ–القرآن الكريم ولا فرق بين قراءاته المتواترة والشّاذة عند الاحتجاج به إلاّ إذا كانت القراءة شاذة جدا لا يمكن توجيهها بحال من الأحوال؛

ب–صحيح كلام النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وفي هذا خلاف بين النّحاة عريق؛

ج–فصيح كلام العرب: وهو شعر ونثر، ويُؤخذ منه مع النّظر إلى الزّمان والمكان والقائل.

3. أسباب تعدّد الرّوايّة الشّعريّة: إذ كان القرآن الكريم، والحديث النّبوي الشّريف قد تعدّدت الرّوايات فيهما، ومصدر كل منهما واحد، وكل واحد منهما نص مقدس فإن تعدّد روايات الشّعر شيء لابد منه ومن أهم أسبابه:

1.3 الاعتماد في روايّة الشّعر على المشافهة: لقد كان العرب أمة أُمِّيّة لا يكتبون ولا يحسبون[6] ، يعتمدون في حفظ آدابهم وتاريخهم وشيء من علومهم اليسيرة على الذّاكرة لا غير، وذلك راجع إلى أصل خِلقتهم، فالحفظ سجيّة فيهم، فلا نجد في عرب العصر الجاهلي أو فيمن وليهم غير حافظ إلا نادرا، فالفرد يحفظ كلام الفرد إن كان راويته، فهذا امرؤ القيس على جلالة قدره، وسبقه للشعراء ، وحمله للوائهم قد كان راويّة أبي دؤاد الإيادي[7]، " وقد كان الفرزدق على فضله في هذه الصّناعة يروي للحطيئة كثيراً، وكان الحطيئة راويّة زهير، وكان زهير راويّة أوس بن حجر وطفيل الغنوي جميعاً[8]"، كما كان الأعشى صنّاجة العرب، والمقدم في شعرهم راويّة للمسيب بن علس[9].

والقبيلة تروي للفرد إن كان من أبنائها، لتحفظ مآثرها، وتسجل أيامها، قال الشّاعر:

أَلْهَى بني تغلبٍ عنْ كلِّ مكرمةٍ قصيدةٌ قالها عمرُو بنُ كُلثومِ[10]

وهذا البيت، وإن كان في معرض الذّم فإنّه دليل على اشتغال القبيلة بروايّة شعر أبنائها، وإنشاده في كل محفل، حتى عابه من عابه بشغفهم بمعلقة عمرو، والإكثار من روايتها[11].

"وكان بنو سليط[12] يروون شعرًا لعكمص[13] ، فقال حارثة[14] يهجوهم.

أراويّة عليَّ بنو سليطٍ ... هجاءَ النّاسِ يالَبني سليطِ

فَمَا لحمي فتأكلَهُ سليطٌ ... شبيهٌ بالذّكيِّ ولا العبيطِ"[15]

فالذّاكرة التي حفظت لنا الأشعار ذاكرتان؛ ذاكرة فرديّة وأصحابها هم رواة الشّعر من شعراء وغيرهم وذاكرة جماعيّة هي قبائل العرب، وهذه الأخيرة أدعى لتعدّد الرّوايّة الشّعريّة من سابقتها، وإن كانت سابقتها لا تسلم من ذلك أيضا، وهي أدعى إلى النّسيان وإسقاط المادة المرويّة إسقاطا تامّا، في حين أن الذّاكرة الجماعيّة أدعى لحفظ المروي وبقائه على مرّ السّنين.

2.3 تأخّر التّدوين: لقد كان العرب أبعد الأمم عن الكتابة والقراءة، وذلك لاعتمادهم الشّديد على الحفظ، فتأخر تدوينهم لعلومهم، وهذا لا يعني أنهم لم يعرفوا الكتابة مطلقًا، قال حماد الرّاويّة:" أَمرَ النّعْمَانُ فنُسِخت لَهُ أَشعارُ العَربِ فِي الطّنُوجِ يَعْنِي (الكَرارِيس) فكُتِبتْ لَهُ[16]" وفي هذا الخبر إشارة إلى ان العرب قد كتبوا في الجاهليّة.

أمّا في صدر الإسلام، فقد ازداد الاحتفال بالكتابة والاعتناء بها، وذلك لظهور الإسلام وحاجتهم إلى كتابة القرآن الكريم وحديث النّبي ___عليه الصّلاة والسّلام___ قال ابن كثير:" أما كُتاب الوحي: فقد كتب له أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزّبير وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاويّة بن أبي سفيان، ومحمّد بن مسلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأخوه خالدّ، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الرّبيع الأسيدي الكاتب، وخالدّ بن الوليد وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه والعلاء بن عتبة، والمغيرة بن شعبة، وشرحبيل بن حسنة[17]."

وأمّا كتابة الحديث النّبوي، فقد ذكر البيهقي أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب[18] آثار النّبي _عليه الصّلاة والسّلام___ فاستشار الصّحابة ___رضي الله عنهم_، وفي هذا الأثر ما يدل على أن الكتابة اتسعت مساحتها عند العرب حتى صار كثير منهم يتقنها بعد أن كانوا في عهد قريب جدًا لا يحسنون منها شيئًا.

ثم ازدهرت الكتابة والتّدوين بقيام دولة المسلمين، وإنشاءُ الدّواوين والخطط أحوجَ القائمين عليها إلى كُتَّاب مَهَرَة، هذا ما جعل الكتابة تصير فنا قائما على سوقه، وقد كثر طلابه، وبرز الحاذقون فيه وخاصّة في دولة بني أميّة، ثم في دولة بني العباس.

ثم ظهرت المؤلفات والمصنفات والدّواوين، ولعل من أهمها _ونريد الشّعر خاصّة_ اختيارات الرّواة، كالمفضليات، والأصمعيات، وجمهرة أشعار العرب، وعلى هذه كان تعويل النّحاة في وضعهم القواعد النّحويّة[19].

فالمفضليات لصاحبها المفضل الضّبي وقد توفي سنة 168هـ، وجمهرة أشعار العرب لصاحبها أبي زيد القرشي وقد توفي سنة 170هـ[20]، والأصمعيات لصاحبها الأصمعي وقد توفي 216هـ، هذه الدّواوين قد تأخرت جدا بالنّظر إلى بدايات الشّعر العربي، هذا التّأخر قد يجعل من روايات الشّعر تتعدّد في ذاكرة أصحابها.

3.3 تزلف الرّواة للملوك والأمراء: مازالتّ النّاس على دين ملوكها، يقولون ما تقول ملوكهم، ويسكتون عما تسكت عنه ملوكهم، وما العلماء إلا بعض النّاس، وإذا كان الملوك يبذلون المال للقراء والمحدثين ليغيروا من قراءاتهم أو حديثهم فيجدون من يطاوعهم إلى ذلك ولا يعصيهم، فكيف الشّأن برواة الأشعار وكتبة الأخبار، والظّن في هؤلاء أسوأ منه في أولئك.

قال أبو الطّيب عن خلف:" وبذل له بعض الملوك مالا عظيما خطيرا على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه، فأبى ذلك وقال: لقد مضى لي في هذا مالا أحتاج أن أزيد فيه."[21]

فبذل المال من الملوك لخلف، قد يكون معه بذل المال لغيره، ورفضه الكلام في بيت مع إقراره أنه قد مضى له في هذا الشّأن ما لا يحتاج معه إلى زيادة قد يكون معه قبول غيره من الرّواة لصنع هذا والمتأمل لأخبار المؤرخين العباسيين التي يتحدثون فيها عن حكام بني أميّة يجد غرابة ونكارة تصلان ببعض الأمراء إلى حد الزّندقة والكفر ولعل ذلك حادث مما ذكرنا.

4.3 إنكار الشّعراء بعض ما ينسب إليهم: وينشأ ذلك غالبا من رهبة أو رغبة فإذا أنكر صاحب الكلام ما ينسب إليه صار عرضة لتخمين الرّواة أو صار الكلام لقًى مُطّرحا ينسبه الرّاويّة لمن شاء، قال الأصفهاني: "وجه المنصور رسولا قاصدا إلى ابن هرمة ودفع إليه ألف دينار وخِلعة ووصفه له وقال: امض إليه فإنك تراه جالسًا في موضع كذا من المسجد، فانتسبْ له إلى بني أميّة أو مواليهم، وسله أن ينشدك قصيدته الحائيّة التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان[22]:

وجدْنَا غالبًا كانتْ جناحًا وكانَ أبوكَ قادمةَ الجناحِ[23]

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه وإن أنشدك قصيدته اللاميّة التي يمدحني بها فادفع إليه الألف الدّينار والخِلعة، وما أراه ينشدك غيرها ولا يعترف بالحائيّة، قال: فأتاه الرّسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد؛ فقال: ما قلت هذه القصيدة قط ولا أعرفها وإنّما نحلها إياي من يعاديني، ولكن إن شئت أنشدتك أحسن منها[24] قال: قد شئت فهات فأنشده:

سرَى ثوبَهُ عنكَ الصّبَا المتخايلُ[25] .....

فإبراهيم بن هرمة ينكر نسبة الأبيات إليه، وذلك خوفا من عقاب المنصور، وهذا يجعل الرّواة في حِلّ من نسبتها إلى من يشاؤون، وقد روى الأصفهاني خبرا مثل هذا عن الكميت بن زيد، قال فيه:" ثم أقبل[26] على الكميت فقال له: يا كميت أنت القائل:

وإلاَّ تقولُوا غيرَهَا تتعرَّفُوا نواصيَها تُرْدي بنا وهْي شُزَّبُ[27]

فقال: لا والله ولا أَتَان من أُتُن الحجاز وحشيّة"[28].

ومثل هذا كثير عند الشّعراء لا يمكن حصره أو إحصاؤه، والإشكال ليس في الإنكار لذاته، وإنّما في كون هذا الإنكار ذريعة للرواة يجعلهم ينسبون هذا الشّعر لمن يريدون ويمكن أن نسمي مثل هذه الأشعار خُلعاء الشّعر، كما أنّ للقبائل خُلعاء يخلعونهم ويتبرؤون منهم لكثرة جناياتهم على قبائلهم، فكذلك الشّعراء يخلعون بعض شعرهم ويتبرؤون منه خوفا على أنفسهم ممّا قد يجنيه عليها، وإذا خُلع هذا الشّعر كان عرضة لأن يدعيه كل شاعر، أو يُدَّعى له.

4. إقصاء الشّاهد الشّعري لتعدّد الرّوايّة: ليس غريبا على النّحاة أن يطعن بعضهم في شواهد بعض إذا قامت المناظرات بينهم، واشتدت النّزاعات على المسائل سعيا منهم إلى الانتصار لآرائهم، والطّعن في الشّاهد نوعان: طعن في الدّلالة؛ وليس هذا موضعه، وطعن في الثّبوت؛ وهذا مدار البحث، لأن الطّعن في الثّبوت يتجزأ، فيبدأ بإنكار الكلمة من البيت، وينتهي بإنكار البيت جملةً.

وفي خضم هذا الطّعن قد يُرد الشّاهد، ويسقط الرّأي المعتمد عليه إذا أصابت العلة موضع الاستشهاد، ولا تكاد تخلو مدونة نحويّة من إشارات أصحابها إلى مثل هذا، وقد أتاح لهم ذلك الأسبابُ التي أشرنا إليها آنفا، وأسبابٌ غيرها، وسنعرض فيما يأتي بعض الشّواهد التي أصابها الإقصاء لتعدّد رواياتها.

1.4 الشّاهد الأوّل قول الشّاعر[29]:

إذا كان الشّتاءُ فأدفئوني فإنَّ الشّيخَ يهدِمُهُ الشّتاءُ

احتج به أبو حيّان على مجيء كان تامة بمعنى الحدث.

البيت من البحر الوافر، وهو منسوب للرُبيع بن ضبع الفزاري[30]، وذكر البغدادي[31] له روايّة أخرى لا تقوم بها الحجة، وهي قوله:

إذا جاء الشّتاءُ فأدفئوني فإنَّ الشّيخَ يهدِمُهُ الشّتاءُ

فيكون (الشّتاء) فاعلا و(جاء) هو العامل فيه الرّفع.

2.4 الشّاهد الثّاني قول الشّاعر[32]:

كأنَّ سبيئةً مِنْ ذاتِ رأسٍ يكونُ مزاجَهَا عسلٌ وماءُ[33]

احتج به أبو حيّان في موضعين؛ الموضع الأول على جواز الإخبار بالمعرفة عن النّكرة بشرط الفائدة لأن الاسم في هذه الرّوايّة هو (عسل) المتأخر، والخبر هو (مزاجها) وفي الموضع الثّاني على جواز قلب التّشبيه، والتّأويل في هذه المسألة أن يُقال يكون عسلها وماؤها مزاجا.

والبيت من البحر الوافر، وهو لحسان بن ثابت –رضي الله عنه–والرّوايّة التي فيها نصب المزاج ورفع العسل واردة في الحماسة البصريّة[34]، وأمّا روايّة الدّيوان فهي برفع المزاج والعسل؛ فكأن (يكون) زائدة في الكلام.

قال ابن يعيش: "وقد رواه أبو عثمان المازنيّ (يكون مزاجُها عسلًا وماءُ) برفع (المزاج) على أنه اسمُ (يكون) وهو معرفة، و(عسلًا) الخبر، وهو نكرة على شرط الباب. و(ماءٌ) مرفوع حَمْلًا على المعنى، لأنّ كلّ شيء مازَجَ شيئًا، فقد مازَجَه الآخرُ، فصار التّقدير: ومازَجَهُ ماءٌ، أي: خالطّهُ[35]

ونقل هذه الرّوايّة –قبل ابن يعيش–المبرد[36]، وخالفه في تقدير ارتفاع (ماء) حيث قال إن ارتفاعه على تقدير: وفيه ماء؛ أي هو مبتدأ خبره محذوف.

وقد اورد البغدادي كذلك روايّة المازني هذه، وذكر أنه قد اختارها عن غيرها من الرّوايات الأخرى، وعلى هذه الرّوايّة، وروايّة الدّيوان، فلا حجة لأبي حيّان في هذا الشّاهد.

3.4 الشّاهد الثّالثّ قول الشّاعر[37]:

فَلَا واللهِ لا يُلْفَى لمَا بِي ولا لِلِمَا بِهِمْ أبدًا دواءُ

احتج به أبو حيّان على جواز دخول حرف الجر على حرف الجر الموافق له لفظا كما دخلت اللام في هذا الشّاهد على اللام.

والبيت من البحر الوافر، قد نسبه السّيوطي[38] لمسلم بن معبد الأسدي[39]، وهو من قصيدة يقول في مطلعها:

بَكَتْ إِبِلِي وحُقَّ لَهَا البُكاءُ وفرَّقَهَا المظالمُ والعداءُ

ثم أورد البيت الذي احتج به أبو حيّان بروايّة أخرى، وهي قوله[40]:

فلَا والله لا يُلفى لما بي وما بهمُ مِنَ البَلْوَى دواءُ

وهكذا اورده البغدادي[41]، وقال هي روايّة المبارك بن ميمون في كتابه منتهى الطّلب. وعلى هذه الرّوايّة فلا شاهد في البيت.

4.4 الشّاهد الرّابع قول الشّاعر[42]:

طَلَبُوا صُلْحَنا ولاتَ أوانٍ فأجبْنا أنْ ليسَ حين بَقَاءِ[43]

احتج به أبو حيّان على جواز خفض أسماء الزّمان بـ (لاتَ).

والبيت من البحر الخفيف وهو لأبي زبيد الطّائي، وقد أورده أبو جعفر النّحّاس[44] عند حديثه عن (لات) في سورة (ص)، وقال: لا حجة لهم فيه؛ لأنه يُوقف عليه ولاتَ أوانٍ، فكأنه جعل الوقف علة الكسر، ثم قال إن فيه تقديران: من ذلك أن فيه مضمرا؛ أي ولاتَ حينَ أوانٍ.

والتّقدير الثّاني: ولاتَ حينَ أوانِنَا، فحذف المضاف إليه، فوجب أن لا يُعرب، فكسره لالتّقاء السّاكنين.

ثم قال النّحّاس إن البيت مُولَّد لا يُعرف قائله، ولا تصح به الحجّة، وفي هذا رد لشاهد أبي حيّان.

كما أنّ النّحّاس[45] نقل عن محمّد بن يزيد –وأظنه المبرد–روايّة أخرى للبيت وهي برفع أوان، وعلى هذا كذلك فلا شاهد في البيت.

5.4 الشّاهد الخامس قول الشّاعر[46]:

على مُستقلٍّ للنوائبِ والحربِ أخاهَا إذا كانتْ غضابَا[47]

احتج به أبو حيّان على أن الوصف إذا قُطع جاز اختلاف التّابع والمتبوع في التّعريف والتّنكير، فـ (مستقل) نكرة، وصفته المقطوعة عنه وهي (أخاها) معرفة.

وهذا الشّاهد ملفق[48] من بيتين من البحر الطّويل، وهما:

ترى الحَلَقَ المَاذِيَّ تَجْرِي فُضولهُ على مُستخِفٍّ بالنّوائبِ والحربِ

وأما البيت الثّاني فروايته على خلاف ما أورد أبو حيّان، وهي قوله:

أخوها إذا شالتّ عَضُوضًا سما لها على كّل حالٍ منْ ذلولٍ ومنْ صعبِ

فـ (أخوها) في البيت الثّاني مبتدأ وضمير الغائبة المتصل به يعود على (الحرب) وخبر المبتدأ جملة (سما لها)، وعلى هذه الرّوايّة فلا شاهد في هذين البيتين .

6.4. الشّاهد السّادس قول الشّاعر[49]:

ومَا لَهُ منْ مجدٍ تليدٍ ومَا لَهُ منَ الرّيحِ حظٌّ لا الجنوبِ ولا الصّبَا[50]

احتج به أبو حيّان على جواز اختلاس[51] حركة الضّمير المذكر الغائب المتحرك بغير حاجز في اللفظ عند اضطرار الشّاعر إلى ذلك، وهو يريد هاء الضّمير المتصلة بلام الجر في أوّل البيت.

والبيت من البحر الطّويل، وهو للأعشى ميمون بن قيس، في ديوانه بروايّة أخرى يقول فيها:

وما عِنْدَهُ مجدٌ تليدٌ ولا له من الرّيح فضل لا الجنوب ولا الصّبا

فهاء الضّمير في (عنده) موصولة بالواو، وعلى هذه الرّوايّة فلا حجة لأبي حيّان.

7.4 الشّاهد السّابع قول الشّاعر[52]:

فقلتُ ادعُ أخرَى وارفعِ الصّوتَ جهرةً لعلَّ أبِي المغوارِ منكَ قريبُ[53]

احتج به أبو حيّان على جواز الجر بـ (لعلَّ)، وقال هي لغة.

والبيت من البحر الطّويل، وهو منسوب لكعب بن سعد الغنوي، وقد أورده أبو زيد الأنصاري بروايّة أخرى، وهي قوله[54]:

فقلتُ ادعُ أخرى وارفع الصّوت دعوةً لعلّ أبَا المغوار منك قريب

ثم قال أبو زيد: "والرّوايّة المشهورة التي لا اختلاف فيها: لعل أبا المغوار منك قريب، يعني أخاه[55] "

ثم نقل روايّة أخرى، وهي قوله: لعًا [56] لأبي المغوار منك قريب[57]، فـ (لعًا) رفع بالابتداء، ولأبي المغوار الخبر.

وعلى هذين الرّوايتين فلا حجة لأبي حيّان في هذا الشّاهد.

8.4 الشّاهد الثّامن قول الشّاعر[58]:

فبِتُّ كأنَّ العائداتِ فرشْنَنِي هَرَاسًا بِهِ يُعلى فراشِي ويقشبُ[59]

احتج به أبو حيّان على أن الفعل (فَرَشَ) تعدّى بنفسه دون اللام، وقال هي ضرورة شعر.

والبيت من البحر الطّويل، وهو للنابغة الذّبياني، إلا أن روايّة الدّيوان كالآتي:

فبت كأن العائدات فرشن لي هَرَاسا به يُعلى فراشي ويقشبُ

فالفعل (فرش) على هذه الرّوايّة يتعدّى باللام، وعلى ذلك فلا حجة فيه.

9.4 الشّاهد التّاسع قول الشّاعر[60]:

فقلتُ أَيَا رَباهِ أولُ سُؤلَتِي لنفسيَ ليلى ثمَّ أنتَ حسيبُها[61]

احتج به أبو حيّان على جواز كسر هاء السّكت عند الوصل.

والبيت من البحر الطّويل، وهو لمجنون ليلى في ديوانه بروايّة أخرى يقول فيها:

وناديتُ يا رحمنُ أولُ سُؤْلتي لنفسيَ ليلى ثمَّ أنتَ حسيبُها

وعلى هذه الرّوايّة فلا شاهد في هذا البيت.

10.4 الشّاهد العاشر قول الشّاعر[62]:

وما حلَّ سعديٌّ غريبًا ببلدةٍ فينسب إلا الزّبرقانُ لهُ أبُ

احتج به أبو حيّان على جواز مجيء الحال من النّكرة.

والبيت من البحر الطّويل، وهو منسوب للّعين المنقري،[63] إلاّ أنّ البغدادي في الخزانة ساقه بروايّة أخرى، وهي قوله:

وما حلّ سعدي غريبٌ ببلدة فينسب إلاّ الزّبرقان له أبُ

برفع (غريب) ليكون وصفا لـ (سعدي)، وبروايّة الرّفع في موضع الشّاهد أورده الشّاطبي[64] قبل ذلك وبهذه الرّوايّة لا تكون الحجة.

11.4 الشّاهد الحادي عشر قول الشّاعر[65]:

ديارَ ميّة إذ ميٌّ مساعفةٌ ولا يَرى مثلَها عُجْمٌ ولا عربُ[66]

احتج به أبو حيّان على وجوب إضمار العامل، فكأنه قال: أذكر ديار ميّة، وهو يحذف الفعل لكثرة ذلك في كلامهم.

والبيت من البحر البسيط، وهو لذي الرّمة في ديوانه بالرّفع في قوله: ديارُ ميّة على أنها مبتدأ مؤخر، وخبره شبه جملة في البيت الذي يسبقه؛ إذ يقول[67]:

بجانبِ الزّرْقِ لم تطمسْ معالمَهَا دوارجُ المُورِ والأمطارُ والحقبُ

فلا حجة في هذه الرّوايّة.

12.4 الشّاهد الثّاني عشر قول الشّاعر[68]:

سيروا بني العمِّ فالأهوازُ موعدُكُمْ ونهرُ تيرى فلا تَعْرِفْكُمُ العربُ[69]

احتج به أبو حيّان على جواز حذف الإعراب من الحرف الصّحيح عند الضّرورة وذلك عند حذف ضمة الفاء في الفعل (تعرفكم) وجعلها سكونا بغير جازم.

والبيت من البحر البسيط، وهو لجرير في ديوانه يهجو به بني العم لما أعانوا عليه الفرزدق، وروايته هكذا:

سيروا بني العمِّ فالأهوازُ منزلكم ونهرُ تيرى فلم تَعْرِفْكُمُ العربُ

وعلى هذه الرّوايّة فالفعل مجزوم بـ (لم)، وبذلك فلا حجة في هذه الرّوايّة.

13.4 الشّاهد الثّالثّ عشر قول الشّاعر[70]:

وقد جعلتْ نفسي تطيبُ لِضَغْمَةٍ لِضَغْمِهِمَاهَا يَقْرَعُ العظمَ نابُها

احتج به أبو حيّان على جواز اتصال الضّميرين الغائبين إن لم يشتبها لفظا والضّميران المتصلان في هذا البيت هما: (هِما) يعود على غائبين، وضمير (ها) يعود على الضّغمة، ومعناها العضة، والأصل أن يُقال: لضغمهما إياها.

والبيت من البحر الطّويل، وهو منسوب للقيط بن مرة الأسدي[71] في الحماسة البصريّة[72]، وقد نسبه بدر الدّين العيني[73] إلى المغلس بن لقيط الأسدي، إلاّ أنّه ساقه بروايّة أخرى، وهي قوله:

وقد جعلتْ نفسي تهم بِضَغْمَةٍ على عَلِّ غيظٍ يَقْسمُ العظمَ نابُها

ثم قال: "هكذا رواه أبو عمرو في كتاب الحروف له"، وروايّة أبي عمرو مقدمة على روايّة غيره؛ لتقدمه على غيره توثيقا وضبطا.

وعلى روايّة أبي عمرو هذه فلا حجة لأبي حيّان في هذا البيت.

14.4 الشّاهد الرّابع عشر قول الشّاعر[74]:

في ليلةٍ لا نرَى بهَا أحدًا يحكِي علينَا إلَّا كواكبُهَا

احتج به أبو حيّان على جواز الإبدال بالرّفع من الضّمير العائد على المستثنى المنصوب، ففي مثل قولنا: (ما أحدٌ إلا زيدًا يقول ذلك)، لا يجوز الرّفع بدلا من الضّمير المتأخر في (يقول).

والبيت من البحر المنسرح، وفي نسبته خلاف، إلا أن السّيرافي[75] قد ذكر له روايّة أخرى يقول فيها:

في ليلةٍ لا يُرَى بهَا أحدٌ يحكِى علينَا إلَّا كواكبُهَا

وعلى هذه الرّوايّة لا شاهد في البيت، لأن (كواكبُها) يكون بدلا من (أحد).

15.4 الشّاهد الخامس عشر قول الشّاعر[76]:

تدلَّتْ على حصِّ الرّؤوسِ كأنَّها كراتُ غلامٍ منْ كساءٍ مُؤَرْنَبِ[77]

احتج به أبو حيّان على زيادة الهمزة في اسم المفعول من (أَرْنَبَ) مع العلم بزيادتها في الفعل، وقد أجاز ابن سيده[78] أن يُقال: أرض مُؤَرْنِبَةٌ، وأرض مُرْنِبَة؛ وهي كثيرة الأرانب.

: والبيت من البحر الطّويل، وهو لليلى الأخيليّة في ديوانها بروايّة تقول فيها

تدلت على حص الرّؤوس كأنّها كراتُ غلام من كساء مُرَنَّبِ

بحذف الهمزة في موضع الشّاهد وهذا هو الأصل، وكذا كان في العربيّة كما قال ابن منظور[79]، ولا حجة في هذه الرّوايّة.

5. خاتمة: نخلص أخيرا إلى أنّ الشّاهد الشّعري على ما له من مكانة عظيمة بين الشّواهد عند النّحاة إلاّ أنّ القوادح فيه وفي حجيته عديدة، لعلّ من أهمّها تعدّد الرّوايّة والتي من شأنها أن تذهب بالشّاهد أدراج الرّياح فلا تقوم به حجّة.

ونختم بأهم ما توصلت إليه الدّراسة من نقاط:

-إنّ حجيّة الشّاهد النّحوي عموما، والشّاهد الشّعري خصوصا ليست مطلقة لا جدال فيها، بل هي متوقفة على سلامته من العلل القادحة فيه؛

-إنّ أهم علّة قد تقدح في حجيّة الشّاهد الشّعري تعدّد الرّوايّة في موضع الاستشهاد؛

-إنّ كتاب الارتشاف من أهم المدونات النّحويّة التي تحتاج إلى عنايّة وإعادة قراءة لعلنا نخلص منهما إلى تجديد في درسنا النّحوي العربي.

6. قائمة المراجع:

-إبراهيم بن هرمة القرشي، شعر ابراهيم بن هرمة، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة د ط، دمشق: دت.

-أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، جمل من أنساب الأشراف، دار الفكر، ط 1، بيروت: 1996م.

-البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، المدخل إلى السّنن الكبرى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، د ط، الكويت: دت.

-الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، البيان والتّبيين، دار ومكتبة الهلال د ط، بيروت: 1423هـ.

-ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف ط 7، القاهرة: 2010م.

-حسان بن ثابت الأنصاري، الدّيوان، دار الكتب العلميّة، ط2، بيروت: 1994م.

أبو حيّان الأندلسي، ارتشاف الضّرب، تحقيق رجب عثمان محمّد، ط1، القاهرة: 1998م.

-ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987م.

-ابن رشيق القيرواني أبو على الحسن الأزدي، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه دار الجيل، ط 5، بيروت: 1981م.

-أبو رياش أحمد بن ابراهيم القيسي، شرح هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي، دار عالم الكتب، ط 2 بيروت: 1986م.

–أبو زبيد الطّائي، شعر أبي زبيد الطّائي، مطبعة المعرف، د ط، بغداد: 1967م.

–أبو زيد الأنصاري، النّوادر في اللغة، دار الشّروق، ط1، بيروت: 1981م.

–ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، دار المدني، د ط، جدة، د ت.

–شمس الدّين الذّهبي، سير أعلام النّبلاء، مؤسسة الرّسالة، ط3، بيروت 1405هـ.

–صدر الدّين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، الحماسة البصريّة، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة: 2000م.

–عبد القادر بن عمر البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب، دار الثّقافة العربيّة، ط2 دمشق: 1993م.

–ابن قتيبة أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدّينوري، الشّعر والشّعراء، دار الحديث، د ط، القاهرة: 1423هـ.

–ابن قدامة المقدسي، روضة النّاظر وجنة المناظر، مؤسسة الرّيان، ط2، بيروت: 2002م.

–ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدّمشقي: الفصول في السّيرة، دار ابن كثير (دمشق)، دار التّراث, (المدينة المنورة), ط 3، 1985م.

–ليلى الأخيليّة، الدّيوان، دار صادر، ط2، بيروت: 2010م.

–مجنون ليلى قيس بن الملوح العامري، الدّيوان، دار صادر، د ط، بيروت: دت.

–المرزباني أبو عبيد الله بن محمّد بن عمران، الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء دار الكتب العلميّة، ط 1، بيروت: 1995م.

–المفضل الضّبي، المفضليات، دار المعارف، ط 6، القاهرة: دت.

–ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت: 2004.

–هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البستاني، كلمات عربيّة للترجمة والنّشر، د ط القاهرة: 2011م.

–أبو الوليد الباجي، الحدود في الأصول، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت: 2003م.

7. الهوامش:

[1]ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت: 2004، ج8، ص152.

[2]المصدر نفسه.

[3] هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التّجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، متوفى سنة 474هـ، ينظر: شمس الدّين الذّهبي، سير أعلام النّبلاء، مؤسسة الرّسالة، ط3، بيروت 1405هـ، 535/18-545.

[4]أبو الوليد الباجي، الحدود في الأصول، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت: 2003 ص103.

ابن قدامة المقدسي، روضة النّاظر وجنة المناظر، مؤسسة الرّيان، ط2، بيروت: 2002

[5] ج1، ص69

[6]وهذا مصداق حديث النّبي __عليه الصّلاة والسّلام__ حيث يقول:" إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيّة، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ..."، صحيح مسلم 761/2.

[7]بن رشيق القيرواني أبو على الحسن الأزدي، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، دار الجيل ط 5، بيروت: 1981, 1ج، ص198.

هو أبو دؤاد الإيادي شاعر جاهلي اختلفوا في اسمه، فقال بعضهم: هو جاريّة بن الحجاج وقال الأصمعي: هو حنظلة بن شرقي. ينظر: ابن قتيبة أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدّينوري، الشّعر والشّعراء، دار الحديث، د ط, القاهرة: 1423هـ, 231/1.

[8]المصدر السّابق.

[9] المرزباني أبو عبيد الله بن محمّد بن عمران، الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء، دار الكتب العلميّة، ط 1 بيروت: 1995, ص66.

المسيب بن علس شاعر جاهلي، واسمه زهير وهو خال الأعشى. ينظر: ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشّعراء، دار المدني، د ط، جدة، د ت، 156/1.

[10] الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، البيان والتّبيين، دار ومكتبة الهلال، د ط بيروت: 1423هـ, ج3، ص272.

[11] الشّعر والشّعراء، ج1، ص230.

[12] وهم من بني الحارث بن يربوع, وسليط لقب لكعب بن الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم, ينظر: ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب, دار المعارف, ط 7, القاهرة: 2010م, ص224، ص225.

[13]لم نقف له على ترجمة.

[14] هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن الغداني، ينظر: المصدر نفسه, 226.

[15]أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، جمل من أنساب الأشراف، دار الفكر، ط 1 بيروت: 1996، ج12، ص194.

[16] تاج العروس, 68/6.

[17]ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدّمشقي: الفصول في السّيرة، دار ابن كثير (دمشق)، دار التّراث، (المدينة المنورة)، ط 3، 1985، ص .255-256

[18]البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، المدخل إلى السّنن الكبرى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، د ط، الكويت: دت، ص407.

[19] أشار إلى هذا أحمد شاكر وعبد السّلام هارون في مقدمة تحقيقهما لكتاب المفضليات ينظر: المفضل الضّبي: المفضليات، دار المعارف، ط 6، القاهرة: دت، ص5.

[20]حدد تاريخ الوفاة لأبي زيد القرشي سليمان البستاني في مقدمته لكتاب الإلياذة ينظر: هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البستاني، كلمات عربيّة للترجمة والنّشر، د ط، القاهرة: 2011، ص156.

[21] مراتب النّحويين، 59.

[22]هو عبد الواحد بن سليمان بن هشام بن عبد الملك الأموي.

إبراهيم ابن هرمة القرشي، شعر ابراهيم ابن هرمة، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، د ط

[23] دمشق: دت، ص93.

[24]المصدر نفسه، 166، وتمام البيت:

..... وآذن بالبين الخليط المزايل

[25]الأغاني, 82/6.

[26] المقصود هنا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان.

[27]أبو رياش أحمد بن ابراهيم القيسي، شرح هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي، دار عالم الكتب، ط 2، بيروت: 1986، ص66.

[28] الأغاني, 12/17.

[29]أبو حيّان الأندلسي، ارتشاف الضّرب، تحقيق رجب عثمان محمّد، ط1، القاهرة: 1998م، 1153/3.

[30] الاقتضاب، 198/3.

[31] خزانة الأدب، 382/7.

[32] ارتشاف الضّرب، 1178/3، 2373/5، 2452/5.

[33]حسان بن ثابت الأنصاري، الدّيوان، دار الكتب العلميّة، ط2، بيروت: 1994م، ص 18. من قصيدة مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

[34]صدر الدّين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، الحماسة البصريّة، مكتبة الخانجي ط1، القاهرة: 2000م، ج4، ص1619.

[35] شرح المفصل لابن يعيش، 173/7.

[36] المقتضب، 92/4.

[37] ارتشاف الضّرب، 2400/5.

[38] شرح شواهد المغني، 505/1.

[39] لم نقف له على ترجمة.

[40] المصدر نفسه، 506/1.

[41]عبد القادر بن عمر البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب، دار الثّقافة العربيّة، ط2 دمشق: 1993م، ج4، ص143.

[42] ارتشاف الضّرب، 1212/3.

[43] أبو زبيد الطّائي، شعر أبي زبيد الطّائي، مطبعة المعرف، د ط، بغداد: 1967م ص30. من قصيدة مطلعها:

خبَّرتْنا الرّكبانُ أنْ قد فخرتمْ وفرِحتم بضربةِ الْمُكَّاءِ

[44] إعراب القرآن للنحاس، 499/2.

[45] المصدر نفسه.

[46] ارتشاف الضّرب، 1908/4.

[47] في هذا الشّاهد اضطراب، فهو غير موزون، كما أنّه ملفق من عجز بيت، وصدر آخر انظر ديوان الأخطل، ص32. من قصيدة مطلعها:

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز بساهمة العينين طاويّة القرب

[48] الملفَّق: من لفقت بين الشّيئين أي لاءمت بينهما. ينظر: ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987م، 966/2.

[49] ارتشاف الضّرب، 2410/5.

[50]ديوان الأعشى، 9. من قصيدة يقول في مطلعها:

كفى بالذي تولينه لو تجنبا شفاءً لسقم بعدما عاد أشيبا

[51] هو النّطق بالحركة سريعة، أو النّطق ببعض الحركة، وهو ضد الاشباع.

[52] ارتشاف الضّرب، 1281/3.

[53] شرح شواهد المغني، 691/2.

[54] أبو زيد الأنصاري، النّوادر في اللغة، دار الشّروق، ط1، بيروت: 1981م، ص 218.

[55] المصدر نفسه، 219.

[56] لعاً مقصور مثل عصا ورحا، وهذه كلمة تستعملها العرب عند العثرة والسّقطة، فيقولون: لعاً لك؛ أي أنهضك الله، ففيها معنى الدّعاء، لسان العرب، 226/2.

[57] النّوادر في اللغة، ص219.

[58]ارتشاف الضّرب، ج4، ص2092.

[59] ديوان النّابغة، 55.

[60] ارتشاف الضّرب، 2390/5.

[61] مجنون ليلى قيس بن الملوح العامري، الدّيوان، دار صادر، د ط، بيروت: دت ص41. من قصيدة مطلعها:

ذكرتك حيث استأمن الوحش والتّقت رفاق من الآفاق شتى شعوبها

[62] ارتشاف الضّرب، 2453/5.

[63]الكتاب، 32/3.

واللعين المنقري هو منازل ابن ربيعة من بني منقر، ويُكنى أبا أكيدر. ينظر: الشّعر والشّعراء، 490/1.

[64] شرح ألفيّة بن مالك للشاطبي، 51/6.

[65] ارتشاف الضّرب، 1476/3.

[66] ديوان ذي الرّمة، 60. من قصيدة مطلعها:

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ كأنّه من كلى مفريّة سربُ

[67] المصدر نفسه.

[68] ارتشاف الضّرب، 2404/5.

[69] ديوان جرير، 441/1.

[70] ارتشاف الضّرب، 936/2.

[71] لم نقف له على ترجمة.

[72] الحماسة البصريّة، 308/1.

[73]المقاصد النّحويّة، 314/1.

وقد ذكر العيني أن المغلس بن لقيط هو ابن حبيب بن خالطّ بن نضلة الأسدي، شاعر جاهلي، ينظر: المصدر نفسه.

[74] ارتشاف الضّرب، 1515/3.

[75] شرح أبيات سيبويه، 177/2.

[76] ارتشاف الضّرب، 242/1.

[77]ليلى الأخيليّة، الدّيوان، دار صادر، ط2، بيروت: 2010م، ص27. من قصيدة مطلعها. طربت وما هذا بساعة مطربِ إلى الحي حلوا بين عاد فجبجبِ

[78] المخصّص، 100/4.

[79] لسان العرب، 235/6.